# أسباب تجريف المصطلحات الشرعية في وعي المجتمع

بقلم: طاهرة عامر

**لا يوجد أمة على مر التاريخ تنهض وتتقدم حضاريًا بلغة غيرها..**

فما بالك لو شاهدت أمة تمارس بلا وعي منها عملية إحلال وتجريف للمنظومة المفهومية والاصطلاحية لمرجعيتها المطلقة، وتنساق انسياق الوحوش نحو الانسلاخ التام من هذه المفاهيم الواجبة؛ لتستخدم محلها مصطلحات موهومة وافدة، ويتسع الانفصام بينها وبين المصطلح والمفهوم الأصليين، حتى يصل إلى حد النفور والتنافر، ومن ثمَّ الإهمال.

**كيف** وصل احتلال العقل المسلم في ديارنا أنك لو تحدثت مع أحد عن مفهوم "الدعوة إلى الإسلام" أو "الدعوة" بمفهومها العام المُعبِّر عن الدعوة إلى الخير أو المعروف - أن ينجرف عقل المستمع تلقائيًا إلى صورة "التنظيمات" و"الحركات" الإسلامية البارزة على الساحة، ويتصور أن هذه مفاهيم وتصورات خاصة بتلك الحركات فقط وأنه ليس معنيًّا بها؟

**كيف** انحصرت المصطلحات الشرعية لتكون دعوة يُناط بها فئة من الناس، وليست مخصصة للأمة قاطبة؟

**كيف** لا يتداعى إلى ذهن المستمع والمتلقي قول الله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران: ١١٠].

**::: نورد في هذا المقال جملة من الأسباب التي تسببت في تجريف المصطلحات الشرعية :::**

## أولاً: الأمية الدينية:

يذكر الشيخ منَّاع القطان في كتابه "معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية" عامل الأمية الدينية على أنه رأس المعوقات أمام تحكيم الشريعة الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي؛ حيث..

"مناهج الدراسة في معظم البلاد الإسلامية بالتعليم العام شملتها موجة التغريب، ووقعت في شِباك المندوب السامي البريطاني "كرومر"، ووزيره القسيس "دنلوب" في مصر؛ فانطمست معالم المواد الدينية، ولا تشمل خطتها سوى مادة واحدة لا يزيد نصيبها عن ساعة أو ساعتين في الأسبوع" [١].

(١) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، الشيخ/ منَّاع القطَّان، ١٩٩١م، ص ١٦.

ويُذكر أنه هذا القدر اليسير من المحتوى الديني الرسمي أصبح يشهد ضموراً في ربط الناشئة بالمصطلح القرآني والحديثي؛ ليحل محله مفاهيم عامة أغلبها ذات بُعد علماني، يُفقد الناشئة الارتباط بوشاج العقيدة، ويُذكّي الانتماء للأرض ومفاهيم المواطنة أكثر من الانتماء للعقيدة.

## ثانياً: وسائل الإعلام:

يُذكر أنه منذ بضع سنوات ثار جدلٌ ودعوات تطالب بإلغاء مادة التربية الدينية التي تُدرس في المدارس، وإحلالها بمادة تحوي قيمًا مهجّنة بين الإسلام والمسيحية.

حيث عُقِد مؤتمر، عام ٢٠٠٩م، بحضور وزير التعليم آنذاك يسري الجمل بعنوان "التعليم والمواطنة"، طالب فيها محاضرون ونشطاء وزير التربية والتعليم إما إلغاء مادة التربية الإسلامية من التعليم المصري، أو إضافة آيات من الإنجيل وإدخال تدريس التاريخ القبطي إلى المناهج.

حيث عبَّر رئيس رابطة معلمي القاهرة آنذاك (عمر موسى) عن أن:
الدعوة إلى إلغاء مادة التربية الإسلامية هي "دعوة مثالية"؛ لأن تدريس مادة التربية الإسلامية يقوِّض أساس المواطنة، ويزرع بذرة الدولة الإسلامية التي "تُقصي الآخر وتهمشه".

لا يخفى على أحد أن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والإلكترونية هي الرافد الأساس في تشكيل الوعي العام في المجتمع، وهذه الوسائل إلى جانب تدخل عامل التمويل فيها منذ عقود خلت.

وهي تعتمد في رسالتها على تغريب المتدينين في المجتمع وحصارهم، والعمل على تغريب المفاهيم الإسلامية عن المجتمع.

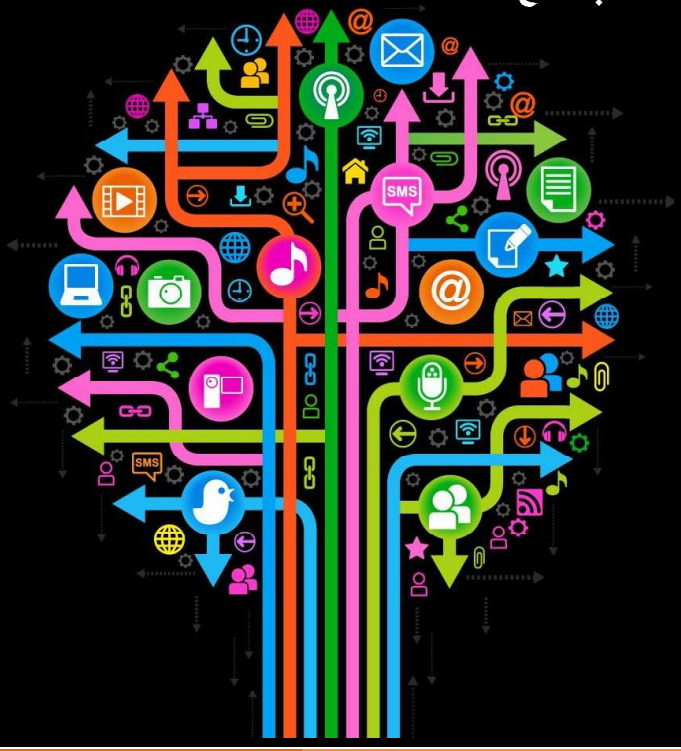

يكفي أن تسمع في وسائل الإعلام مصطلح "التحول عن الإسلام" و"المتحولين"؛ رغم أن المسمّى الصحيح هو الارتداد عن الإسلام.

وإنما تستخدمه وسائل الإعلام من باب التخفيف من دلالات لفظ ردّة؛ لما فيه انتكاس وتقهقر وتراجع كما يصفه الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

## ثالثًا: تقصير العاملين في الحقل الدعوي والعمل الإسلامي:

إن التنوع والتباين المؤدي إلى الانقسام في العموم بين العاملين في الحقل الدعوي الإسلامي رسّخ في المجتمع..

**أن** المصطلحات والمفاهيم الشرعية إنما هي دعوة هؤلاء وحدهم والمجتمع غير معني بها..

**وأن** المصطلحات الشرعية هي أمور متباينة ونسبية تخضع لتأويل العاملين في الحقل الدعوي والحركي الإسلامي وحدهم..

**وأن** الانضواء تحت لواء الإسلام والدفاع عن الشريعة إنما يتمثل في الانضواء تحت أي حركة إسلامية.

ويُضاف إلى هذا التقصير تقاعس كثير منهم في:

**تحديد** أسباب بروز ما يُسمى بالحركات الإسلامية في الأساس في مطلع القرن المنصرم..

**وتعريف** الناس بالأصل والرافد من الأفكار والمعتقدات..

**واستسلامهم** لتهمة أن الحركات الإسلامية هي التي قسّمت المجتمع الإسلامي وغير إسلامي، وأنهم يستخدمون مفاهيم مفارقة لما يستخدمه المجتمع وتعارف عليه.

وكما يقول العلاَّمة المغربي د. فريد الأنصاري في التفريق بين "الحركة" و"الدعوة":

"فالحركة الإسلامية تشتغل حول النص، بينما دعوة الإسلام تشتغل بالنص وفي النص، وتدعو إلى النص، فعملها مرتكز أساسًا على التعامل المباشر مع الوحي، تخلقًا بأخلاقه وتحققًا بأحكامه وحِكمه، ودعوة للناس إلى الدخول في فلكه؛ فالنص في الأولى شعار، وهو في الثانية مدار، يؤدي الدخول في محيطه إلى ابتلاء عملي للنفس، وسلوك تطبيقي في المجتمع" [١].

وكل هذه الأشياء أغفلها العاملون في حقل الدعوة وفي العمل الإسلامي.

(١) الفطرية دعوة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، فريد الأنصاري، ٢٠٠٩م، ص ٣٣.

## رابعًا: ضمور مفهوم "تدارس القرآن" في حلقات القرآن ومعاهد التحفيظ:

لا يمكن أن يغفل أحد أن حلقات تحفيظ القرآن في مصر زادت وانتشرت وتأسست لها الكثير من المعاهد في السنوات الأخيرة، وأنها أصبحت أكثر تنظيمًا وانتشارًا في المساجد، سواء للرجال أو للنساء أو الأطفال..

لكن هذه الحلقات صارت غايتها هو التحفيظ الكمي للمتلقي، والدخول في مسابقات، بعيدًا عن غاية ربط الناس بالوحي، وتلقي القرآن حفظًا وتلاوة وتزكية وتعلمًا، وإغفالاً لقول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[آل عمران: ١٦٤].

كل هذا الغياب لمفهوم تدارس القرآن وتلقي مرادفاته أدى إلى وجود حفظة في المجتمع؛ لكنهم لا يتشربون المصطلحات الشرعية والمفاهيم القرآنية كما أتت من مصادرها..

فكيف يُناط بهم مهمة التعريف بالمصطلحات الشرعية وتحبيب الناس إلى استخدامها بدلاً من المصطلحات الوافدة، وهم لم يتشربوها بعد؟

كيف يؤثرون في المجتمع بما منَّ الله عليهم به من حفظ الكتاب؟!

## حلول لمواجهة تجريف المصطلحات الشرعية في وعي المجتمع:

**أولاً:** الثقة بالذات هي أولى خطوات كسر هذا التجريف الحاصل للمصطلحات والمفاهيم الشرعية في وعي الناس ونفض غبار الهزيمة عنها، هذا الإحساس بالثقة سوف يجعلنا نأبى استخدام المصطلحات والمفاهيم الوافدة ذات البعد العلماني في مكوناتها ودلالتها.

يكفي أن تُبرز للناس الفارق الدلالي والاصطلاحي بين مفهوم أهل الذمة في الإسلام ومفهوم حقوق الأقليات العلماني الغربي، وكيف نخجل من تسمية غير المسلمين من غير المحاربين بأهل الذمة بينما تُطلق عليهم السياسة العلمانية مصطلح الأقلية من باب التحقير؟! أيهما أكثر احترامًا في وصفهم "الذمة" أم "الأقلية"؟

**ثانيًا:** حث المنابر الإسلامية المُزاحِمة للمنابر الأخرى سواء في الإعلام أو التعليم أو الدعوة على الاهتمام بإبراز المصطلحات والمفاهيم الشرعية للناس، وتصحيحها في عقولهم، وتحبيبها إلى نفسيتهم، وتأليف استخدامها بينهم، وإفشاء هذه المصطلحات والمفاهيم على ألسنة الإعلامي المسلم، والمعلم المسلم، والمعلمة المسلمة.

**ثالثًا:** تحذير الناس من قبول الصيغ اللفظية الشائعة الجاهزة الواردة في الإعلام ومناهج التربية، دون عرضها على الإسلام عرضًا وتفكيكًا لمعرفة مدى مطابقتها له من عدمه.

وحث الناس على التفكير إلى ما وراء المصطلح، والدلالات المولِّدة له، والمفهوم الكامن بداخلها، مع العمل على تذكيرهم أن الإسلام هو التصور الأساس لرفض المصطلحات أو قبولها.

ونذكر في هذا المقام مصطلحات مثل: احترام الرأي والرأي الآخر بإطلاق، التي تُشاع حتى لو كان هذا الرأي فيه من الازدراء والتهكم لشعائر الإسلام؛ فينبغي إبراز حقيقة أن مثل هذا المصطلح إنما هو مصطلح موهوم، ولا يحتمل دقة ولا يراعي ثابتًا.

**رابعًا:** إقامة حملات دعوية مخصصة لتعريف الناس بالمفاهيم الشرعية.

وتشمل على سبيل المثال تعليق اليافطات في المساجد لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ودورات لحث قطاع المعلمين على احترام خصوصية اللفظ الشرعي ورفعه وتقديسه، وإعلائه على ما دونه من مصطلحات وافدة.

انتهى